

Al-arshīw al-brīṭānī wa kitābat tārikh yahūd al-Maghrīb

الأرشيف البريطاني وكتابة تاريخ يهود المغرب

خالد بن الصغير

جامعة محمد الخامس، الرباط

يمكن التمييز في الكتابات البريطانية التي ورد الحديث فيها عن يهود شمال إفريقيا، بصفة عامة، وعن يهود المغرب الأقصى على الخصوص، سواء بصفة فردية أو جماعية، بين صنفين أساسيين هما الكتابات الخاصة الصادرة عن الأشخاص، والكتابات الرسمية الصادرة عن ممثلي الدولة من سفراء ومبعوثين دبلوماسيين. ويدخل في صنفها الأول كتب الأسفار والرحلات التي دوّن بعض المغامرين والرحالة والمستكشفين تقاريرهم فيها، وذلك في مناسبات كثيرة، وبطريقة كانت مبسطة في بداية الأمر، عن الأحوال العامة والخاصة للبلاد المغربية. وتفيدنا القوائم الجغرافية المتوفرة في هذا الصدد أن الكتابات المنتمية إلى هذا الصنف الأول قد بدأت في التزايد بطريقة بطيئة منذ أواسط القرن السابع عشر على الأقل، ثم أنها ما فتئت أن سجلت تراكما تدريجيا ومتواصلا بلغ ذروته خلال القرنين التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.¹ أما الصنف الثاني، وهو الكتابات التي

1. ومن أبرزها كتاب بلايفير وروبرت:

Playfair R. Lambert & Brown Robert (Lieutenant Colonel), *A Bibliography of Morocco from the earliest times to the end of 1891* (London: J. Murray, 1892).

غير أن كتاب أديسون لانسلو المطبوع على الحجر في هذا الصدد، وإن كان أول الكتب التي خصها مؤلف إنجليزي منذ سنة 1675 بكتاب منفرد انكب فيه على وصف حالة اليهود في شمال إفريقيا المعروفة وقتئذ باسم بلاد بربريا، (صدرت طبعته الثانية في 1676، والثالثة في 1682) قد يمكن اعتباره من الكتب الرسمية إذ تم إهداؤه إلى أحد أعضاء الحاشية المقربين من دائرة ملك إنجلترا الضيقة وهو كاتب الدولة الرئيسي السير جوزيف وليامسن (Sir Joseph Williamson).

Addison, Lancelot, *The present state of the Jews (more particularly relating to those in Barbary) wherein is contained an exact account of their customs, secular and religious: to which is annexed a summary discourse of the Misna, Talmud, and Gemara.* (London: Printed by J.C. for William Croke, at the Green Dragon without Temple-Bar; and to be sold by John Courtney Bookseller in Sarum, 1675).

وللكاتب نفسه مؤلف سابق عن المصنف المذكور أعلاه صدر سنة 1761، وقد خص به بلاد المغرب الأقصى، فتناول في فصله الحادي عشر بعجالة واقتضاب وجهة نظره القديحية الخاصة باليهود في المغرب وربطها بممارستهم للربا:

Addison, Lancelot, *West Barbary, or, A short narrative of the revolutions of the kingdoms of Fez and Morocco with an account of the present customs, sacred, civil, and domestick* (Oxford, England: Printed at the Theater in Oxford, 1671), 176-178.

تناولت يهود المغرب بشكل أو بآخر في صلة بالجوانب الدبلوماسية والعلاقات الثنائية القديمة التي جمعت بين المغرب وبريطانيا على مر العصور وخاصة منذ عهد السعديين على الأقل، حيث ارتبطت تلك الكتابات الدبلوماسية الباكرة بمساهمة يهود المغرب في الاستغلال التجاري لمادة السكر عن طريق الاحتكار بشكل ضايق الانجليز إلى أقصى الحدود، فاضطر معها سلاطين السعديين إلى التدخل بإصدار ظهائر مساعدة لصالح التجار الإنجليز.² حيث انتقل بعض اليهود المغاربة للاستقرار أيضا ببعض جهات المحيط الأطلس الشمالي للالتحاق بالطوائف اليهودية السفرادية المقيمة منذ أمد بعيد في لندن وأمستردام، وعرفوا في تلك الأوساط بـ "البربرسكوس" (Berberiscos).³ وجاءت الإشارات المتعلقة بأحوال يهود المغرب أحيانا بأفلام بعض الأسارى ممن وقع احتجازهم في عرض البحر على يد القراصنة، كما وقع تدوين بعضها الآخر من قبل عدد لا يستهان به من المغامرين والرحالة والمستكشفين، وهذا فضلا عن الدبلوماسيين من سفراء ومبعوثين من حكومات الدول الغربية إلى سلاطين المغرب،⁴ وغيرهم من مشاهير الكتاب الذين خلفوا نصوصا كثيرة تيسر نشر الأغلب منها، فتشكلت منها أدبيات اهتمت جميعها، بطريقة أو بأخرى، بتقديم الأوصاف الدقيقة أحيانا أو السطحية والعبارة أحيانا أخرى عن أحوال البلاد المغربية، وذلك من حيث ظروفها الطبيعية والبشرية، بغية تمكين البريطانيين من التعرف على المغرب باعتباره يمثل أحد الشعوب العربية الإسلامية والإفريقية الأكثر قربا من بلادهم والتي تعوزهم

2. وارتبطت تلك الكتابات بمساهمة يهود المغرب في النشاط التجاري عن طريق الاحتكار لمادة السكر بشكل ضايق الانجليز إلى أقصى الحدود، فضلا عن مشاكل لا حصر لها، وفي مناسبات عديدة، ترتبت عن متاجرتهم في بضائع أخرى من قبيل الأثواب وغيرها من السلع المربحة بحكم التباين الكبير في الأسعار بين أسواق المغرب وأوروبا:

Le Comte Henry De Castries, *les sources inédites de l'histoire du Maroc*. Première série, dynastie saadienne, archives et bibliothèques d'Angleterre, Tome 1 (Paris: Éditions Leroux, Londres: Luzac et Cie, 1918) IX, 92, 108; 112-113, 178; 192-193; 232; 234; 240; 255; 329; 331; 352; 445-447; 486, 547, etc.... (Barbary Company and the Moroccan Jews).

3. بخصوص البربرسكوس انظر الفصل الرابع من كتاب دانييل شروتير عن مايير مقنين الذي خصصه للتعريف بهم وبتطورهم التاريخي، اعتمادا على بليوغرافية مركزة ودقيقة، انظر: يهودي السلطان، المغرب وعالم اليهود السفرد، تعريب خالد بن الصغير، (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة نصوص وأعمال مترجمة رقم 15، 2011)، 165-251.

4. ومن أشهرها رحلة جون وندوس الصادرة سنة 1725 في طبعة حجرية ورد الحديث فيها باقتضاب عن يهود مكناس على عهد المولى إسماعيل وأوضاعهم العامة، انظر:

John Windus, *A journey to Mequinez, the residence of the present emperor of Fez and Morocco, on the occasion of Commodore Stewart's embassy thither from the redemption of the British captives in the year 1721* (London: Printed for Jacob Tonson in the strand, 1725), 184-185.

عنها المعلومات الضرورية الكفيلة بتيسير الاستفادة من بعض الإمكانيات التي قد توفرها لهم على الصعيدين التجاري والعسكري. وتتخلل هذه الكتابات صفحات أو فقرات مفصلة أحيانا عن يهود المغرب، ومقتضبة وعابرة أحيانا أخرى، لكنها لا تخلو من أهمية للمساعدة على تناول الجوانب العامة والخاصة المتعلقة بيهود المغرب بالاستعراض والتحليل.

وعلى الرغم من أهمية هذه الكتابات المتنوعة شكلا ومضمونا، والتي تحتاج إلى أفراد دراسة خاصة بها، فإن الهدف الأساسي من هذه الورقة هو الحديث عن نماذج بحثية تمكن أصحابها من تناول مختلف أشكال الحضور اليهودي المغربي انطلاقا من مواد الأرشيف البريطاني إلى حدود مطلع القرن العشرين، كما جاءت في كتابات الدبلوماسيين من سفراء ومبعوثين دبلوماسيين رسميين حلوا بالمغرب في زيارات قصيرة، إما من أجل تحرير الأسارى، وإما من أجل التوقيع على اتفاقيات تجارية، أو معالجة قضايا ثنائية عاجلة بين الطرفين.

وبعبارة أخرى، فإن السؤال الأساسي الواجب طرحه وتقديم الإجابة عنه، هو كالتالي: ما هي الإمكانيات التي يتيحها مخزون الأرشيف البريطاني أمام الباحثين في موضوع تاريخ الطوائف والجماعات اليهودية في المغرب؟

وتمهيدا للجواب عن هذا السؤال، تجدر الإشارة إلى أن جميع الدول الأجنبية الأوروبية منها وغير الأوروبية التي ربطتها بالمغرب علاقات دبلوماسية، إلا وتوفر في دور أرشيفاتها الوطنية كميات من الوثائق والمستندات، قد تكثر أو تقل من حيث العدد والأصناف، لكنها تمثل دلائل مادية مكتوبة تعكس باللموس درجة الأهمية التي وصلت إلى مستواها العلاقات الثنائية خلال مختلف الحقب التاريخية التي تواصل فيها التعامل الدبلوماسي بين المغرب ومجموع الدول الأجنبية. ودون الخوض في التفاصيل المتعلقة بالأعراف والمساطر التنظيمية الجاري بها العمل، إلى حدود فترة ما قبل الحماية، على مستوى تبادل المراسلات بين المغرب، باعتباره دولة عربية إسلامية، وبين ممثلي جميع الدول الأجنبية وخاصة الغربية منها التي كانت جميعها مختلفة إلى أقصى الحدود عن المغرب وعلى أصعدة كثيرة، يمكن القول إن حصة الأسد من الوثائق الأساسية المحفوظة في الأرشيفات الأوروبية حول المغرب

الأقصى هي الموجودة منها في العواصم الأوروبية الثلاث، لندن وباريس ومدريد. ومما لاشك فيه أن هذا الأمر يظل مرتبطاً بالأهمية المتزايدة التي احتلها المغرب الأقصى في السياسات الخارجية للحكومات البريطانية والفرنسية والإسبانية، وذلك منذ اندلاع الثورتين الفرنسية والصناعية على الأقل في السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر.

وعلى الرغم من أن المغرب الأقصى قد انتهى به الأمر إلى السقوط تحت نير الاستعمار الفرنسي والإسباني سنة 1912 كما هو معلوم، فإن السنوات السابقة لوقوع هذا الحدث قد أكدت بأن مصير البلاد ظل معلقاً لمدة طويلة، وأن بريطانيا العظمى ظلت مرشحة إلى حدود سنة 1904، على الأقل، وإلى جانبها ألمانيا، لوضع أيديهما على المغرب. ومما يزيد هذا الأمر تأكيداً، الحجم الهائل والمتنوع والغني جداً من الوثائق والمستندات الموجودة بخزائن دار المحفوظات الوطنية القائمة منذ بضع سنوات في منطقة كيو (Kew)، جنوب غرب لندن. وإذا كان المقام لا يسمح بالخوض في الحديث المفصل عن الهندسة العامة لمحتويات الأرشيف البريطاني برمته، إذ تكفي العودة إلى محتويات الموقع الإلكتروني الرسمي لدار المحفوظات الوطنية، للإحاطة بالخطوط العريضة لهذا الموضوع،⁵ فإنه من الواجب الاقتصار في هذا التقديم على الإشارة إلى وجود مجموعتين وثائقتين أساسيتين تخصان البلاد المغربية وبلدان الشمال الإفريقي (الجزائر وتونس)، أولهما مجموعة الوثائق المخطوطة المتكونة من مراسلات أصلية مكتوبة بخط اليد، ومحررة في جلها بلغات مختلفة أهمها الإنجليزية والعربية، إلى جانب مراسلات قليلة باللغتين الفرنسية والإسبانية، وقد سميت بالمراسلات العامة (General Correspondence)، تغطي السنوات الممتدة ما بين 1756 و 1966، وصنفت تحت أرقام محددة ومعلومة، أهمها ثلاثة وهي:

F.O. 52: General Correspondence, Morocco, Series I

F.O. 99: General Correspondence, Morocco, Series II

F.O. 174: Consulate and Legations, Tangier, and Embassy, Rabat, Morocco: General Correspondence

وثانيهما مجموعة الوثائق والمستندات التي تحتوي على قرابة مائة مجلد تغطي ملفاتها ومواضيعها السنوات الممتدة ما بين 1839 و 1957، وقد وقع الحرص على

5. <http://www.nationalarchives.gov.uk>.

طبعها-لوضعها رهن إشارة العاملين بمختلف المصالح التابعة لوزارة الخارجية البريطانية-وجلبها باللغة الإنجليزية، في سلسلة من الملفات سميت بالمطبوعات السرية (Confidential Prints)، ثم صنفت تحت الرقم والعنوان التالي:

F.O. 413, Foreign Office: Confidential Print Morocco and North Africa

وتحتوي هذه السلسلة الفريدة والغنية جدا على مراسلات وتقارير مطبوعة تتعلق مواضيعها المختلفة بالمغرب أساسا، وبقية بلدان شمال غرب إفريقيا. وتتكون من مراسلات مختارة ومستندات تتعلق بالأوضاع في المغرب، وابتداء من سنة 1952، نجد مراسلات تتعلق أيضا بكل من الجزائر وتونس.

وبما أن الهدف الأساسي من هذه الورقة هو تقديم جرد لنماذج من بعض الملفات الوثائقية ذات الصلة بموضوع الجماعات اليهودية بالمغرب والقضايا المركزية المؤطرة لها، فإننا لن نتوسع أكثر مما سبق في الحديث عن الطبوغرافية العامة المعقدة والشاسعة النطاق للأرشيف البريطاني المحفوظ في لندن، للدخول مباشرة في الموضوع الأساسي الخاص بأحوال أهل الذمة بالمغرب كما تعكسه بعض المجموعات الوثائقية البريطانية التي ستم الإشارة مباشرة إلى نماذج منها مصحوبة بأرقام ملفاتها التصنيفية حسب أهمية القضايا المطروحة ودرجة تأثيرها على سير الأحداث وتطوراتها في مغرب ما قبل الحماية.

وعلى العموم، يمكن القول إن المعلومات الواردة في الأرشيف البريطاني بخصوص الطوائف اليهودية إلى حدود سنة 1856 قد اتسمت بأنها نادرة وعرضية وسطحية في غالبية الأحيان، وقد لا تكتسي إلا أهمية ثانوية أو ظرفية في أحسن الأحوال. ونعني بذلك، أننا لا نتوفر قبل السنة المذكورة على معطيات دقيقة تتعلق بأحوال اليهود المغاربة وأوضاعهم، إذ شكل التوقيع على اتفاقية 1856، والشروع في تنفيذ بنودها بين المغرب وبريطانيا ابتداء من سنة 1857، فرصة استدعت من رئيس المفوضية البريطانية في طنجة إعادة النظر في شبكة نوابه القنصلين المعتمدين بالمراسي المغربية المفتوحة أمام التجارة الدولية، وذلك بتعيين نواب قنصلين وافدين من الوطن الأم، بدلا من الاستمرار في الاعتماد، كما كان ذلك معهودا

من قبل، على خدمات نواب قنصلين محليين من بين اليهود المغاربة ممن كانوا تقريبا في عداد الأमीين ولا يتوفرون على تكوين يستحق الذكر أو خبرة كبيرة في المجال القنصلي، كما أنهم لا يتقاضون مرتبات رسمية، وقد يُسمح لهم بممارسة التجارة لحسابهم الخاص مع إمكانية الاستفادة قليلا من وضعيتهم تلك ولو من الناحية الرمزية، إذ كانوا مهما كان الأمر في خدمة دولة عظمى ويمثلون مصالحها في نطاق اختصاصاتهم القنصلية المحدودة. وبناء عليه، تقرر تعيين مجموعة من النواب القنصلين البريطانيين الجدد المحترفين من ذوي التكوين الخاص في الحقل القنصلي، مع التأكيد على منعهم منعا باتا من ممارسة أي نشاط تجاري لحسابهم، حتى يتفرغوا بجدية للمهام المنوطة بهم، والعمل على كل ما من شأنه تقوية المصالح الاقتصادية والسياسية البريطانية في المغرب، وذلك مقابل تقاضي مرتبات منتظمة من وزارة خارجية بلادهم كنواب قنصلين محترفين. ومن أول التعليمات التي تلقاها هؤلاء الموظفون الجدد، بعد تعيينهم في مناصبهم تلك بمراسي المغرب، مطالبتهم بوضع تقارير عامة عن مجموع المناطق المغربية الموجودة ضمن نطاق اختصاصاتهم القنصلية.⁶ وفي هذا السياق، أجريت تحريات واستطلاعات ميدانية لرصد المؤهلات الطبيعية والاقتصادية والبشرية التي تزخر بها المدن المراسي المغربية وبواديها، فحظي الرعايا اليهود المغاربة باهتمام خاص، لمعرفة أعدادهم وتحديد طبيعة أنشطتهم الحرفية والاقتصادية. وبهذا شكلت تلك التقارير القنصلية الأولى، مصدرا أساسيا لبعض المعلومات الدقيقة إلى حد ما لم تكن متوفرة من قبل عن اليهود المغاربة، وخاصة من حيث أعدادهم مقارنة بجيرانهم المسلمين، ولو أن الأمر اقتصر في ذلك على المراسي وأحوازها دون المناطق الداخلية.⁷

وبحكم امتيازات أخرى حصلت عليها بريطانيا العظمى ومعها بقية الدول الأجنبية التي تربطها علاقات دبلوماسية رسمية بالمغرب، ومن بينها على وجه الخصوص إمكانيات تقديم الحماية القنصلية إلى رعايا مغاربة كان يهود البلاد

6. FO 99/77, circular letter from J. D. Hay to his Vice-Consuls in Moroccan ports, 16th Marsh 1857.

7. Khalid Ben-Srhir, "Une Source de l'histoire économique marocaine: les rapports consulaires britanniques," in *Hespéris-Tamuda* XXVIII (1990): 183-190.

في طليعة المستفيدين منها،⁸ فإن تطورات مثيرة شهدها هذا الموضوع ابتداء من التوقيع على وفق بكلاز مع فرنسا سنة 1861، وشهدت أيضا معضلة الحماية غير القانونية استشراف متواصل في صفوف اليهود المغاربة وخاصة الأثرياء منهم، وذلك مباشرة بعد عقد الاتفاقية المغربية الإسبانية إثر حرب تطوان سنة 1863، وعلى امتداد سنوات النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وخاصة بعد زيارة موزيس مونتيفيوري (Moses Montefiore)، كبير يهود بريطانيا للمغرب في سنة 1864، تحت إشراف الحكومة البريطانية وبتأييد منها، وما أثاره صدور ظهير السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن (1859-1873)، من ردود فعل متضاربة حول وضعية المغاربة اليهود.⁹ وقد أسفرت جملة من التطورات اللاحقة التي شهدها وضع اليهود في المغرب وبالضرورة عن تبادل سيل من المراسلات الرسمية بين النواب القنصلين البريطانيين المعتمدين في المراسي المغربية وممثلي المخزن من عمال وقواد، أو مع النواب القنصلين العاملين لحساب دول أجنبية أخرى، وهي مستندات انتهى بها الأمر إلى الوصول، في مرحلة أولى، إلى أيادي رؤساء المفوضية البريطانية بطنجة ممن تعاقبوا هناك على ممارسة مهامهم الدبلوماسية، قبل الانتقال في مرحلة ثانية إلى دهاليز وزارة الخارجية البريطانية وخزائنها في لندن حيث يقع استخدامها من قِبَل المسؤولين عن صناعة القرارات، ويتم الاحتفاظ بها بكامل العناية ضمن مستودعات الأرشيف التابع لمصالح الوزارة المعنية بها. وإن هذا التراكم التدريجي للمراسلات القنصلية التي يعتبر اليهود المغاربة أطرافا معنية بها بشكل مباشر، هو الذي مكن من تشكيل خزان غني بالمعطيات المتنوعة والمواد الضرورية لتمكين الدارسين في حقل التاريخ وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا من تناول المواضيع ذات الصلة بأحوال اليهود المغاربة على كثير من المستويات، وإلى حدود سنة 1912، حيث وقع الإعلان رسميا عن دخول المغرب تحت نفوذ الحماية الفرنسية والإسبانية.

8. انظر قوائم المحميين المغاربة المسلمين واليهود في المدن المراسي المغربية التي نشرها بوشعرة وكلها مستمدة من محفوظات مديرية الوثائق الملكية بالرباط، انظر: مصطفى بوشعرة، الاستيطان والحماية بالمغرب، 1863-1894، ج 2، و 3، (الرباط: المطبعة الملكية، 1987؛ الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1988).

9. ترددت أصدا هذه الزيارة ونتائجها في جميع الأبحاث المغربية والأمريكية التي تناولت موضوع الأقليات اليهودية بالدراسة، دون أي استثناء، وهو ما استدعى عدم حرصنا على الإشارة إليها بالتفصيل في هوامش هذه الدراسة المقتضبة.

وإذا ما حاولنا اقتفاء آثار الباحثين ممن توفرت لديهم الوسائل المادية الضرورية، وحالفهم الحظ في استغلال محتويات الأرشيف البريطاني في موضوع اليهود المغاربة، فإن هناك عدة أجيال تعاقبت في هذا المضمار منذ ثلاثينيات القرن الماضي، وهي مستمرة إلى اليوم، وما فتئت اللائحة تطول تدريجيا كلما تقدمنا زمنيا، لكن هذا لا يمنع من ذكر أسماء بارزة في هذا الباب والحديث باقتضاب عن تجربتهم مع الأرشيف البريطاني في معالجة الجوانب المتعلقة بتاريخ اليهود في المغرب. وفي هذا الصدد، يمكن التمييز بين باحثين انكبوا على تناول مواضيع عامة حول السياسات الاستعمارية البريطانية تجاه المغرب أو حول العلاقات بين المغرب والدول الأوروبية قبل مرحلة ما قبل الاستعمار، فصادفوا أمامهم ودون قصد، البعد اليهودي في دراساتهم، ولم يجدوا بدا من الإشارة بشكل أو بآخر إلى هذا الموضوع الذي خاضوا فيه بطريقة مستفيضة أحيانا، وبطريقة مقتضبة وعابرة أحيانا أخرى. وخير مثال في طليعة العناصر المنتمة لهذا الجيل الأول المؤرخان الأمريكيان فلورنوي (Flournoy)، وكريكشانك (Cruickshank)، اللذان اختارا نهج الاقتضاب والاختصار، ثم الباحث الفرنسي جان لوي مياج (J. L - Miège)، الذي اختار في نهاية خمسينيات وبداية ستينيات القرن الماضي النهج التفصيلي والمستفيض في الشرح والتعليل والوصف والتأويل. وتقدم فلورنوي بأطروحة ناقشها بجامعة كولومبيا (Columbia)، في تخصص التاريخ خلال ثلاثينيات القرن الماضي في موضوع السياسة البريطانية تجاه المغرب على عهد بالمرستون (Palmerston) (1865-1830)، فاعتمد فيها الوثائق البريطانية المحفوظة وقتئذ في البناية القديمة للبوبيك روكورد أوفيس (Public Record Office)، القائمة وقتئذ وسط لندن بشارع الشانسري لاين (Chancery lane)، كما استفاد جزئيا من محتويات الأرشيف المحرر منه باللغة الإنجليزية، دون الموجود منه أيضا باللغة العربية، والذي ظل محفوظا ببناية المفوضية البريطانية في طنجة إلى سبعينيات القرن العشرين. وقد أفرد صفحات من أطروحته المنشورة سنة 1935 للحديث عن الوضع الخاص باليهود في المغرب، وإن كان اهتمامه بداية الأمر اقتصر أساسا على الإشارة إلى أن اليهود المغاربة المنحدرين من أصول إسبانية قد اضطلعوا بمهام مفيدة في المجتمع المغربي بحكم قدرتهم على استعمال لغات أوروبية متنوعة تمكنهم

من التواصل مع المسيحيين وممارسة أنشطة اقتصادية تعكس عقليتهم المتفتحة، ناهيك عن إمكانية قيامهم بدور الترجمة والتواصل بين المغاربة والأجانب في مناسبات كثيرة، وممارستهم مهام قنصلية في أماكن يصعب، بل يستحيل فيها تعيين نواب قنصلين محترفين أجانب.¹⁰ لكنه لم يلبث في صفحات أخرى من أطروحته أن أولى أيضا اهتمامه عن قرب بجهود الحكومة البريطانية الرامية للدفاع عن اليهود المغاربة وحمائيتهم مما وصفوه بأعمال العسف والجور من قبل ممثلي المخزن والرعايا المسلمين، ولم يتردد في بسط الحديث في ذلك الموضوع ببعض التفاصيل إلى حدود انعقاد مؤتمر مدريد سنة 1880، متجاوزا بذلك حدود الفترة الزمنية التي وضعها للدراسة.¹¹ أما الملفات الوثائقية التي اعتمد عليها في موضوع بحثه، فتحمل أساسا الأرقام التصنيفية (F.O. 99) التي تغطي السنوات الممتدة من 1861 إلى 1880. وما يهمننا في دراسة فلورنوي، هو اهتمامه بالجهود التي بذلتها الحكومة البريطانية، ظنا منها، أنها سوف تحمي اليهود المغاربة وتدافع عنهم من مختلف الأضرار التي هددت حياتهم. وقد ظل هذا الاهتمام من بين المواضيع التي رددتها جميع الدراسات اللاحقة، سواء الأنكلوساكسونية منها أو المغربية، وخاصة الأبحاث التي اعتمدت على محفوظات الأرشيف البريطاني. هذا مع الإشارة إلى أن دولا أوروبية ومعها الولايات المتحدة الأمريكية أيضا، ما فتئت أن نصبت نفسها أيضا كمدافعة عن حقوق اليهود المغاربة.

ويبدو أن كريشانك المعاصر لفلورنوي، والمنتمي لجامعة بنسلفانيا (Pensylvania)، قد سار على الدرب نفسه حين نشر في السنة نفسها، أي عام 1935 نتائج بحثه الجامعي في مؤلف بعنوان: المغرب في مفترق الطرق، واتخذ من الحماية القنصلية موضوعا مركزيا لدراسته، فاعتمد هو الآخر وبنحو مكثف على المراسلات المصنفة تحت رقم (F.O. 99) وخص اليهود المغاربة وعلاقتهم المعقدة بموضوع الحماية القنصلية في كثير من الصفحات باهتمام واضح في إطار استعراضه لمحاولات بذلها المخزن بالتعاون مع الدول الأوروبية بغية التوصل إلى

10. Francis Roser Flournoy, *British Policy Towards Morocco in the Age of Palmerston* (1830-1865) (London: P. S. King & son, LTD, Baltimore: The John Hopkins Press, 1935), 18.

11. *Ibid.*, 243-249.

إصلاح نظام الحماية القنصلية ولو في شكلها غير القانوني المخالف لمقتضيات المعاهدات الدولية التي أبرمها المغرب في هذا الشأن.¹²

ومن بين المنتمين أيضا إلى الجيل الطلائعي ممن تعاملوا أيضا في ستينيات القرن الماضي مع محتويات الأرشيف البريطاني في دراساتهم حول المغرب قبل الحماية نذكر الأمريكي إدموند بورك (Edmund Burke III) في أطروحته بعنوان الاحتجاج والمقاومة الصادرة باللغة الإنجليزية سنة 1976،¹³ والذي تمكن من الاطلاع على مجموعات وثائقية بريطانية غير التي استعملها جان لوي مياج في دراسته الضخمة.¹⁴ وعلى الرغم من أن موضوع اليهود المغاربة لم يشكل أحد الاهتمامات الأساسية عند بورك في هذا البحث، فإنه لم يعثر فيما يبدو في ملفات الأرشيف البريطانية الغنية التي عاد إليها على ما من شأنه التحقيق بدقة مثلا في مسألة اعتماد المولى عبد الحفيظ على قرض مالي كبير من التاجر يشوعه قرقوز كبير الطائفة اليهودية المراكشية لتمويل حركته المناهضة للمولى عبد العزيز والتي اكتفى فيها باستقاء معلوماته من مصادر فرنسية بالدرجة الأولى.¹⁵

أما جان لوي مياج، الذي مر على اليوم على صدور مؤلفه المشهور، المغرب وأوروبا، أكثر من نصف قرن، والذي مهما تعرض إليه من انتقادات موضوعية أو غير موضوعية، فقد كان دون شك في طليعة المستغلين الأساسيين لمحتويات الأرشيف البريطاني في تناوله لموضوع اليهود المغاربة وتشعباته الكبيرة في المغرب إلى حدود نهاية عهد السلطان المولى الحسن سنة 1894. ومن الملاحظات الواجب تسجيلها في هذا الباب، هو أنه على الرغم من استعمال جان لوي مياج لملفات وثائقية متعددة (F.O. 83، و F.O. 84، و F.O. 94)، فقد اقتصر في دراسته للمواضيع ذات

12. Earl Fee Cruickshank, *Morocco at the parting of the ways: the story of native protection to 1885* (Philadelphia: University of Pennsylvania Press; London: H. Milford, Oxford University Press, 1935).

13. Edmund Burke III, *Prelude to protectorate in Morocco. Precolonial Protest and Resistance, 1860-1912* (Chicago and London: The University of Chicago Press, 1976).

وقد ترجمها إلى العربية محمد أعيف: إدموند بورك، الاحتجاج والمقاومة في مغرب ما قبل الاستعمار (1860-1912) (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة نصوص وأعمال مترجمة رقم 17).

14. ونعني بها المجموعات التالية المخطوطة منها والمنشورة:

F.O. 174. Consular Correspondence; F.O. 371. General Correspondence. Political; F.O.413. Confidential Print Series; F.O. 831. Report on the insurrection in southern Morocco (1912); F.O.836. Political Situation, Marrakech, 1912.

15. إدموند بورك، الاحتجاج والمقاومة، 179، والهوامش رقم 323، 324، 325.

الصلة بيهود المغرب على محتويات مجموعة (F.O. 99) المخطوطة والمحررة أساسا باللغة الإنجليزية،¹⁶ والتي سبقه إلى استخدامها كل الباحثين ممن اهتموا بالبحث في تاريخ المغرب وأتيحت لهم فرصة الاطلاع على محتويات الأرشيف البريطاني المتاح عند البداية في بناية البوبليك روكورد أوفيس القديمة وسط العاصمة لندن، وذلك قبل نقلها إلى البناية الجديدة في منطقة كيو جنوب غرب العاصمة عند بداية سبعينات القرن الماضي. غير أن مبيج كان سباقا إلى الاعتماد أيضا على مصادر وثائقية مطبوعة في هيئة تقارير وضعها القناصلة والنواب القنصليون البريطانيون المعتمدون بالمغرب حول تطور حجم المبادلات التجارية عبر المراسي المغربية غطت السنوات الممتدة من 1856 إلى 1906، والذين لم تفتهم فرصة تقديم معطيات معززة بالأرقام عن مساهمة اليهود المغاربة في تجارة المغرب الخارجية،¹⁷ والتي توجد كثير من أصدائها المفصلة والدقيقة في مختلف المراسلات المرتبة ضمن مجموعة (F.O. 99) المشار إليها أعلاه. وهذا دون إغفال مبيج لمجموعة من المراسلات الدبلوماسية المنشورة التي تتوفر فيها معطيات كثيرة عن وضعية اليهود المغاربة في علاقتهم بموضوع الحماية القنصلية التي انعقد مؤتمر مدريد الدولي من أجل البت فيها بما يحمي مصالحهم ويعزز مكانتهم في المجتمع المغربي.¹⁸

وفي واقع الأمر، شكل صدور كتاب جان لوي مبيج بباريس في مطلع ستينيات القرن الماضي، حدثا علميا بكل المقاييس، بالنسبة لكتابة تاريخ المغرب خلال القرن التاسع عشر، وذلك بحكم الكمية الهائلة من الوثائق الأجنبية التي اعتمدها الباحث الفرنسي في دراسته، ومنها البريطانية التي مكنته من الخوض في مواضيع شتى، ومن بينها أوضاع الأقلية اليهودية بالمغرب، بكثير من الإسهاب والدقة كما سبقت منا الإشارة إليه. والأهم من كل هذا، هو أن الكتاب المذكور فتح أمام الباحثين المغاربة والأجانب على حد سواء، وخاصة المهتمون منهم بتناول موضوع أهل الذمة في المغرب بالبحث آفاقا جديدة. ويبدو أن الإحالات السميكة على ملفات الأرشيف البريطاني وأرقامها التصنيفية جعلت الباحثين يدركون بأن

16. Jean-Louis Miège, *le Maroc et l'Europe* (1830-1894), T.1, Sources-Bibliographie (Rabat: Éditions La Porte, 1989), 33-34.

17. Ibid., 38-39.

18. Ibid., 41-42.

جان لوي ميبج لم يقدم بما فيه الكفاية على استغلال تلك المعطيات استغلال مسهبا، وهو ما استدعى عودتهم إلى تلك الملفات نفسها باعتبارها اكتشافا جديدا لمواد وثائقية ما زالت في حاجة ماسة إلى مزيد من التحليل والاستغلال للإجابة عن أسئلة كثيرة تتعلق بجوانب شتى ذات صلة بتاريخ الأقليات اليهودية في مغرب ما قبل الحماية.

وفي هذا الصدد، يمكن الاكتفاء بالحديث عن الخطوط العريضة للتجربتين المغربية والأمريكية في هذا الباب. وبالنسبة للحالة الخاصة بتجربة الباحثين المغاربة ممن اعتمدوا على ربائد الأرشيف البريطاني في دراسة موضوع اليهود المغاربة إما بطريقة شمولية أو جزئية، نذكر تجربتي محمد كنيب وخالد بن الصغير على الرغم من تباعد الأجيال الطفيف واختلاف مسار التكوين الحاصل بين هذين الباحثين. أما عن التجربة الأمريكية، فأصحابها أكثر عددا من زملائهم المغاربة من حيث الاعتماد بكثرة على مواد الأرشيف البريطاني لدراسة نفس الموضوع في هيئة أبحاث مونوغرافية جد دقيقة في الزمان والمكان، ونذكر في هذا الصدد، على الرغم من تباعد الأجيال الحاصل أيضا، الأسماء البارزة لكل من دانييل شروتير، وإملي گوتريك، وجسيكا مارجلين.

وبخصوص تجربة محمد كنيب، المنتسب لشعبة التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، فإنه قد استغرق سنوات طويلة ومضنية في تحضير شهادتين جامعتين بالديار الفرنسية، كانت أولاهما أطروحة لنيل دكتوراه السلك الثالث بجامعة دونيس ديدرو (Denis Diderot)، (باريس السابعة)، تحت إشراف روني غاليسو (René Galissot)، تمت مناقشتها في صيف سنة 1980، في موضوع الحماية الأجنبية بالمغرب خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.¹⁹ وقد صدرت أول الأمر بالفرنسية ضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سنة 1996.²⁰ ثم صدرت منها مؤخرا نسخة بالعربية اهتم المؤلف بتنقيح

19. "Les protections étrangères au Maroc aux XIX^{ème} siècle-début du XX^{ème}," thèse de doctorat de 3^{ème} cycle, connaissance du tiers monde, présentée et soutenue publiquement par Mohammed Kenbib, sous la direction de René Gallissot, juin 1980. Université de Paris VII, U.E.R. de géographie, histoire et sciences de la société.

20. Mohammed Kenbib, *Les protégés. Contribution à l'histoire contemporaine du Maroc* (Rabat: Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Rabat. Série Thèses et mémoires 29, 1996).

معطياتها وتحيين محتوياتها على ضوء نتائج بعض الأبحاث والوثائق الجديدة في الموضوع.²¹ أما الأطروحة الثانية، فقد تقدم بها محمد كنيب لنيل درجة دكتوراه الدولة بجامعة السوربون باريس الأولى، في تسعينيات القرن الماضي في موضوع العلاقات بين المسلمين واليهود بالمغرب ما بين 1859 و 1948، وانتهى الأمر أيضا بصدورها ضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سنة 1994.²² وبحكم صعوبات واجهها محمد كنيب، في السنوات الأولى التي استغرقها مشروع بحثه، وتعذر حصوله على حاجياته من الوثائق المخزنية المحفوظة بدور الأرشيفات المغربية، لم يجد بدا إلى جانب الاعتماد على رباط الأرشيف الفرنسي، من السفر إلى بريطانيا للاستفادة في تحضير أطروحته الأولى والثانية من المواد الوثائقية الغنية التي تزخر بها محفوظات الأرشيف البريطاني والمودعة وقتئذ في بناية البوبليك روكورد أوفيس القديمة القائمة وسط العاصمة لندن في الشانسري لاين. وتمكن محمد كنيب من الاطلاع على محتويات الملفات والمحفظات الوثائقية التالية بشقيها المخطوط والمطبوع والمرتبة تحت التصنيفات الآتية:

Public Record Office (P.R.O., Chancery Lane)

° Foreign Office, London:

Série: F.O. 99: 41, 76, 125, 139, 144, 147, 176, 187, 202, 211, 222, 224, 225, 230, 234, 248, 254, 256, 257, 258, 260, 277, 283, 294, 297, 309, 319, 321, 333, 334, 352, 357, 361, 364, 374, 395, 431, 433, 586; F.O. 97: 585, 586, 587; F.O. 84: 2133; F.O. 413: 6, 12; F.O. 635:3; F.O. 636: 2; F.O. 881 (Confidential Print): 3177, 3644, 3972, 4025, 7016, 7588, 8488, 8879, 8988, 8993, 9175, 9447, 9793, 9920, 9996.

° Home Office

- General Registers "Aliens in England -Denization and Naturalizations (1800-1935)":

H. O. IA-32, IA-34, IA-81, IA-85, IB-20 E, IB 20 F, IB 20 G, IB -20 I, IB-20 L.

- Naturalization of Moroccan Subjects:

382, 547, 698, 770, 841, 928, 1011, 1031, 1065, 1112, 1113, 1120, 1138, 1163, 1164, 1165, 1170, 1179, 1198, 1225, 1259, 1302, 1364, 1366,

21. محمد كنيب، المحميون (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، منشورات باب أنفا، سلسلة: بحوث ودراسات رقم 47، 2011).

22. Mohammed Kenbib, *Juifs et musulmans au Maroc (1859-1948). Contribution à l'histoire des relations inter-communautaires en terre d'Islam* (Rabat: Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Rabat. Série Thèses et mémoires n° 29. 1994).

1643, 1835, 1904, 2068, 2082, 2287, 2390, 2398, 2428, 2488, 2540, 2702, 2726, 2766, 2990, 3175, 3209, 3540, 3621, 3641, 3734, 3821, 3871, 3898, 3933, 4174, 4175, 4233, 4346, 4389, 5080, 5342, 5383, 5483, 6383, 6389, 6408, 6490, 6561, 6864, 6561, 6564, 6586, 6860, 6976, 7033, 7806, 7943, 8045, 8054, 9488, 9625.

ولابد من الإشارة إلى الصعوبات الجمة التي يطرحها استغلال هذه المستندات، وفي طليعتها تحمل الأعباء المادية الثقيلة للسفر والإقامة. وهذا فضلا عن جهود كبيرة يجد الباحث نفسه مضطرا لبذلها للتعامل مع محتويات الأرشيف البريطاني الكثيرة والغنية جدا، والتي تتناول مواضيع شتى قد تتداخل فيها قضايا دقيقة وجوهرية لا بد من فك رموزها المعقدة ولاسيما في المستندات المخطوطة منها، والعمل على فرزها والانتقاء منها لما له صلة مباشرة بالموضوع المركزي للدراسة المتمحورة حول الأقلية اليهودية، ثم الوقوف عندها إما بأخذ النقط الأساسية بنسخها يدويا، أو بتصويرها ربعا للوقت على الرغم من ارتفاع كلفة التصوير والاستنساخ.

أما عن تجربتي الشخصية في التعامل مع الأرشيف البريطاني، فقد انطلقت فيها أيضا من نفس العناصر التي ابتدأت منها أبحاث من سبقني من الزملاء، إذ شكلت الهوامش الكثيرة والمخيفة أحيانا بالصورة التي وردت بها في أطروحة جان لوي ميبج المعروفة حافزا أساسيا على الاهتمام بمزيد من البحث في الأرشيف البريطاني، خاصة وأن طبيعة الموضوع الذي اخترت أن أحضر فيه دبلوم الدراسات العليا في تخصص التاريخ المعاصر، وكذا أطروحة دكتوراه الدولة في التخصص نفسه بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ما بين سنتي 1985 و 2000، قد كان هو تاريخ العلاقات المغربية البريطانية بأبعاده السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية. وعلى الرغم من هذه الخاصية الثنائية التي اتسم بها موضوع الدراسة، فقد وجدت نفسي دون سابق إنذار أمام ضرورة معالجة موضوع الأقليات اليهودية في مغرب ما قبل الحماية، بحكم الاهتمام الخاص والمستمر الذي أولته الحكومة البريطانية ليهود المغرب، وما ترتب عنه من توجيهات وتعليمات صدرت على امتداد النصف الثاني من القرن التاسع من وزارة الخارجية البريطانية في لندن إلى جميع الدبلوماسيين ممن تعاقبوا على رأس المفوضية البريطانية في طنجة، منذ النصف الثاني من القرن التاسع

عشر إلى حدود سنة 1912، للدفاع عن اليهود وتقديم السند المادي والمعنوي لهم كلما استلزم الأمر ذلك، حتى وإن كان ذلك التدخل يقع على حساب سيادة الدولة المخزنية وقوانينها الجاري بها العمل منذ قرون عديدة حول اليهود وأوضاعهم باعتبارهم من رعايا السلطان ومن عامة سكان البلاد المغربية.

وإذا كان كل من فلورنوي وكريكشانك وأمثالهما من الباحثين الأمريكيين الأوائل، وكل من مياج وكنيب قد اشتغلوا في محتويات الأرشيف البريطاني المحفوظة بالبنية القديمة والمظلمة في الشانسري لاين، فإن الأجيال اللاحقة، من بين المترددين على استعمال هذا الأرشيف، وأنا واحد منهم، ربما كانوا أوفر حظا بعد فتح المقر الجديد لبنية البوبليك روكور أوفيس عند مطلع ثمانينيات القرن الماضي بعيدا عن وسط لندن، في الجهة الجنوبية الغربية للمدينة على مقربة من حدائق كيو التاريخية في مقاطعة ريشموند. ولم يقتصر الأمر على مجرد افتتاح بناية جديدة تتوفر فيها المواصفات التقنية الحديثة والمريحة على مستوى تخزين الأرشيف وتقديم الخدمات والتسهيلات للباحثين، بل اكتسى الأمر أهمية خاصة من حيث المجموعات الوثائقية الجديدة التي انتهى الأمر بنقلها من أماكن مختلفة داخل بريطانيا وخارجها لوضعها رهن إشارة الباحثين المترددين على المقر الجديد للبوبليك روكور أوفيس من حقول معرفية مختلفة. وفي هذا الإطار، استقبلت البنية الجديدة جميع الوثائق المتعلقة بالمغرب التي ظلت محفوظة بالمفوضية البريطانية بطنجة إلى حدود نهاية سبعينيات القرن الماضي، حيث تحولت بنايتها القديمة فيما بعد إلى متحف للفن المعاصر تابع لوزارة الثقافة المغربية، وهي المجموعات الوثائقية الأصلية والمنسوخة التي لم يتمكن الرواد الأوائل ممن اهتموا بالبحث في المواضيع التاريخية والدبلوماسية ذات الصلة بالمغرب من الاطلاع عليها، وخاصة المكتوبة منها باللغة العربية. ويبدو أن محمد المنصور الذي ناقش أطروحة نال بها دكتوراه الدولة في التاريخ من جامعة لندن سنة 1981 في موضوع التطورات السياسية والاجتماعية بالمغرب في فترة حكم المولى سليمان (1792-1822)،²³ والتي نشرت

23. Mohamed El Mansour, "Political and Social Developments in Morocco during the Reign of Mawlay Sulayman 1792 - 1822," Ph.D. Dissertation, SOAS, London, 1981.

باللغة الإنجليزية سنة 1990،²⁴ كما صدرت مترجمة إلى اللغة العربية في 2006،²⁵ ربما قد كان أول المطلعين على الملفات المجلوبة حديثا من المفوضية البريطانية بطنجة إلى البناية الجديدة في كيو، وذلك بدليل وجود الإحالة في هوامش أطروحته على الرقم التصنيفي (F.O. 174) الذي رتبته بموجبه تلك المجموعة الوثائقية في المقر الجديد.²⁶ غير أن موضوع اليهود المغاربة، لم يحظ بكثير من الاهتمام الدقيق والمفصل في هذا العمل، الذي اختار فيه الباحث التركيز على تغطية قضايا سياسية واجتماعية عامة بالمغرب خلال فترة حكم المولى سليمان القصيرة الأمد. وهو الأمر الذي تجند في نفس الفترة الزمنية تقريبا دانييل شروتر (Daniel J. Schroeter) لمعالجته في أبحاثه العديدة بالاعتماد على الأرشيف البريطاني بنحو مكثف.

ومما لاشك فيه، أن الدراستين الوافيتين اللتين أنجزهما دانييل شروتر، بعد سنوات طويلة ومضنية من البحث في موضوع النشاط التجاري بمدينة الصويرة، وحول شخصية التاجر السلطاني مايير مقنين (1980-2002)، المعاصر لكل من المولى سليمان والمولى عبد الرحمن،²⁷ لتعتبران معا وبحق من أفضل النماذج المتعلقة بالأبحاث التاريخية الأكاديمية الجادة الموجودة حتى الآن، سواء من حيث دراستهما الشمولية للبعد اليهودي ليس في تاريخ المدينة المذكورة فحسب، بل أيضا في سياق التاريخ العام لمغرب ما قبل الحماية، وأيضا من حيث اعتماد صاحبهما على عينات مختلفة ومتنوعة من الأرشيفات المغربية والأجنبية والتي حظي فيها الأرشيف البريطاني بحصة الأسد كما توضحه لنا الملفات الكثيرة المستغلة في هاتين الدراستين الفريدتين، خاصة وأن دانييل شروتر لم يكتف على غرار من سبقوه

24. Mohamed El Mansour, *Morocco in the Reign of Mawlay Sulayman 1792-1822* (Wisbech, Cambridgeshire: Menas Press, 1990).

25. محمد المنصور، *المغرب قبل الاستعمار، المجتمع والدولة والدين، 1792-1822*، ترجمة محمد حبيدة (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2006).

26. انظر النسخة المترجمة إلى العربية والمذكورة في الهامش أعلاه، إذ اطلع محمد المنصور على ملفات المفوضية البريطانية الحاملة للأرقام التالية: 2، 8، 10، 11، 12، 17، 19، 20، 21، 124، 125، 150، 151، 153، 154، 156، 285، 286.

27. Daniel Schroeter, *Merchants of Essaouira: Urban Society and Imperialism in Southwestern Morocco 1844-1886* (Cambridge: Cambridge University Press, 1988); idem, *The Sultan's Jew, Morocco and the Sephardi World* (Stanford: Stanford University Press, 2002).

انظر أيضا الترجمة العربية للكتابين أعلاه: دانييل شروتر، *تجار الصويرة، المجتمع الحضري والإمبريالية في جنوب غرب المغرب، 1844-1886*، ترجمة خالد بن الصغير (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة نصوص وأعمال مترجمة رقم 6، 1997)؛ *يهودي السلطان، المغرب وعالم اليهود السفرد، ترجمة خالد بن الصغير (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة نصوص وأعمال مترجمة، رقم 15، 2011).*

بالمستندات المحفوظة في البوبليك روكورد أوفيس في لندن، بل بادر إلى توسيع نطاق استطلاعاته في أرشيفات أخرى محفوظة أيضا في مؤسسات أخرى خارج العاصمة البريطانية كانت في مجموعها كما يلي:

Records of the Foreign Office, Public Record Office, London:

52 General Correspondence, Morocco, Series I, 1761-1873

99 Morocco, General Correspondence, Series II, 1836-1905.

174 Embassy and Consular Archives, Morocco Correspondence.

631 Embassy and Consular Archives, Mogador Correspondence.

830 Embassy and Consular Archives, Mogador, registers of Correspondence.

835 Embassy and Consular Archives, Casablanca Correspondence.

British Library, London:

Additional MSS. 38931-39164. The Layard Papers.

Additional MSS. 41512, British Trade with Mogador.

Anglo-Jewish Archives, London:

A.J. 95. Minutes of the Anglo-Jewish Association.

Gaster Papers.

Archives of the Manchester Chamber of Commerce, Manchester:

M8. Proceedings.

Official Publication:

Account and Papers. Parliamentary Papers. House of Common. Consular Reports on Trade and Commerce.

Public Record Office, London.

Foreign Office:

8 War and Colonial Department: General Correspondence, Barbary States (Instructions to Consuls)

52 General Correspondence, Morocco, Series I

95 Political and other Departments: Miscellanea (Morocco: Consuls, Domestic)

99 General Correspondence, Morocco, Series II

174 Consulate and Legations, Tangier, and Embassy, Rabat, Morocco: General Correspondence

631 Consulate, Mogador, Morocco: General Correspondence

635 Consulate, Mogador, Morocco: Miscellanea

Colonial Office:

91 Gibraltar: Original Correspondence

714 Indexed Précis of Incoming Correspondence (Governors' correspondence, Gibraltar)

Office of the Commissioners of Bankrupts and Court Bankruptcy:

B 3 Bankruptcy Commission Files

B 4 Bankruptcy Commission Docket Book

B 5 Bankruptcy Enrollment Books

Index to Denizations

State Papers, Foreign:

71 Barbary States

The John Reylands Library, Manchester

Dombay Papers

Spanish and Portuguese Jews Congregation (Bevis Marks), London:

Mahmad Minutes Mahmad Papers

MS 735 Hebrew letters addressed to H. H. R. Meldola and Dayan D. Meldola, vol. 2: Letters from North Africa.

هذا فضلا عن عدم اقتصار دانييل شروتير على محتويات هذه الأرشيفات التي استطاع الاطلاع عليها في بريطانيا، بل أضاف إليها أعدادا كبيرة من الوثائق المخزنية في هيئة مراسلات وقوائم حسابية حررت موادها الأصلية باللغة العربية مع كل ما يطرح استغلالها من صعوبات في القراءة والتحليل والتأويل.

وسار على نهج دانييل شروتير في تنويع مصادر الأرشيف المعتمد، واللجوء بطريقة مكثفة إلى محتويات الأرشيف البريطاني في دراسة تاريخ اليهود المغاربة كل من الباحثة إملي گوتريك (Emily Gottreich) في دراستها المونوغرافية الصادرة منذ بضع سنوات في موضوع ملاح مراكش،²⁸ وجيسيكا مارجلين (Jessica Marglin) التي ناقشت في السنوات الأخيرة أطروحتها في موضوع القضاء اليهودي بالمغرب وهي في طريقها إلى النشر.

وبخصوص الباحثة الأولى، فإنها قد استطاعت الاستفادة في دراساتها لأوضاع اليهود في فضاء الملاح المراكشي وعلاقتهم بالمدينة وأحوازها، من استغلال محتويات الملفات الآتي ذكرها من مختلف دور الأرشيف البريطاني في لندن وغيرها:

Public Record Office, London

FO 52: Morocco, General Correspondence, Consuls, 1761-1837.

FO 84: Slave Trade (1853-1892).

FO 99: Morocco, General Correspondence, Series II, 1836-1905.

FO 174: Embassy and Consular Archives, Tangier Correspondence.

FO 403: Confidential Prints, Morocco.

FO 413: Confidential Prints, Morocco.

28. Emily Gottreich, *The Mellah of Marrakesh: Jewish and Muslim Space in Morocco's Red City* (Bloomington: Indiana University Press, 2007), 201.

FO 631: Embassy and Consular Archives, Mogador Correspondence.

FO 635: Morocco, Mogador misc.

FO 828: Embassy and Consular Archives, Marrakech, Register of Correspondence.

FO 831: Reports on Insurrection in Southern Morocco.

FO 835: Embassy and Consular Archives, Casablanca Correspondence.

FO 836: Embassy and Consular Archives, Register of Marrakech Correspondence.

FO 909: Consular Court Records, Marrakech.

FO 925: Foreign Office Maps.

Greater London Record Office

Records of the Board of Deputies of British Jews:

ACC/3121, Class B: President and Secretary's Papers.

ACC/3121, Class C.

ACC/3121, Class E.

ACC/3121, Class F: Finances.

Anglo-Jewish Archives, London and Southampton

MS 137: Papers of the Anglo-Jewish Association, 1871-1983.

أما عن جيسيكا مارجلين²⁹ المنتمية إلى جيل الباحثين الشباب والصاعدين في حقل الدراسات الخاصة بيهود المغرب في الجامعة الأمريكية، فقد استفادت هي الأخرى في تحضيرها لأطروحتها التي ناقشتها من نفس الملفات التي سبق أن استخدمها ميبج وكنيب وشروتير وبن الصغير وگوتريك، وهو ما يمكن ملامسته من الإحالات الغزيرة على أرقامها في هوامش الدراسة، والتي تناولت فيها موضوعا بالغ الأهمية، ألا وهو علاقة الطوائف اليهودية المغربية بالقضاء والعدالة، في ظروف صعبة كابدها المغرب خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، من جراء التغلغل الأجنبي، وما ترتب عنه من مساس بسيادة الدولة المغربية، ومن تناول على اختصاصات القضاء المغربي المستند في أحكامه على مقتضيات الشريعة الإسلامية. وهذه عينات من الملفات المعتمدة من قبل هذه الباحثة.

29. Jessica Marglin, "In the Courts of the Nations: Jews, Muslims, and Legal Pluralism in Nineteenth-Century Morocco, 2013," Ph.D. thesis, Princeton University.

وقد صدرت هذه الأطروحة مؤخرا تحت العنوان التالي:

Jessica M. Marglin. *Across Legal Lines: Jews and Muslims in Modern Morocco*. New Haven and London: Yale University Press, 2016.

FO, 174/221, Diary of the British Consulate in Tangier; FO, 631/2; FO, 631/3; FO, 631/5; FO, 631/7; R; FO 636/2; FO 631/7; FO, 635/4, Public Acts, Mogador; FO 830/1; FO, 442/8, Diary Entry from 14 July 1857; FO, 631/7, p. 71b-72a, 23 March 1882; FO, 831/8; FO, 631/3; FO, 830/1; FO, 631/3; FO 631/14; FO 635/4; FO, 631/5; FO 636/2; etc.....

وفي الختام، فإن محتويات الأرشيف البريطاني، لتعتبر بحق خزانة لا ينضب بالمعلومات والمعطيات الدقيقة والمفصلة الضرورية لكل الباحثين المهتمين بدراسة تاريخ المغرب وبلدان شمال إفريقيا في الحقبة ما قبل الاستعمارية، وذلك لمعالجة جميع القضايا ذات الصلة بتاريخ البلاد المغربية، وخاصة منها موضوع الأقليات اليهودية التي يتناولها هذا العدد الخاص من مجلة هسبريس-تمودا في مجلدين. غير أن محتويات هذه الوثائق البريطانية، قد تزداد أهميتها أكثر إذا ما عززها الباحثون في موضوع الأقليات اليهودية في المغرب وبقية بلدان الشمال الإفريقي، بما تزخر به أيضا دور المحفوظات الأوروبية الأخرى في كل من فرنسا، وإسبانيا وهولندا وإيطاليا، بالإضافة إلى المحفوظات الأمريكية بواشنطن، وهذا فضلا عن الوثائق المخزنية الكثيرة جدا والموجودة في كل من الخزانة الحسنية، ومديرية الوثائق الملكية، وبمؤسسة أرشيف المغرب في الرباط، وفي الخزانة العامة بتطوان.

Bibliography

- Bousha'ra, Mustafā. *Al-Isṭīṭān wa al-Ḥimāya bi al-Maghrib, 1863-1894*, juz' 2-3. Al-Ribat: al-Matba'a al-Malakiyya, 1987. Al-Dār al-Baydā': Matba'at al-Najāh al-Jadida, 1988.
- Burke III, Edmund,. *Prelude to protectorate in Morocco. Precolonial Protest and Resistance, 1860-1912*. Chicago and London: The University of Chicago Press, 1976.
- _____. *Al-'Ihtijāj wa al-Muqāwama fī Maghrīb mā Qabl al-'Ist'mār (1860-1912)*. Tarjamat A'fif Muhammad. Al-Ribāt: Manshūrāt kulliyat al-'ādāb wa al-'ulūm al-'insāniyya, silsilat nuṣūṣ wa a'māl mutarajama, raqm 17, 2013.
- Cruikshank, Earl Fee. *Morocco at the parting of the ways: the story of native protection to 1885*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press; London: H. Milford, Oxford University Press, 1935.
- De Castries, Le Comte Henry. *les sources inédites de l'histoire du Maroc*. Première série, dynastie saadienne, archives et bibliothèques d'Angleterre, Tome 1. Paris: Éditions Leroux, Londres: Luzac et Cie, 1918.

Gottreich, Emily. *The Mellah of Marrakesh: Jewish and Muslim Space in Morocco's Red City*. Bloomington: Indiana University Press, 2007.

Kenbib, Mohammed. *Les protections étrangères au Maroc aux XIX^{ème} siècle-début du XX^{ème}*. Thèse de doctorat de 3^{ème} cycle, connaissance du tiers monde, présentée et soutenue publiquement par Mohammed Kenbib, sous la direction de Monsieur René Gallissot, juin 1980. Université de Paris VII, U.E.R. de géographie, histoire et sciences de la société.

_____. *Juifs et musulmans au Maroc (1859-1948). Contribution à l'histoire des relations inter-communautaires en terre d'Islam*. Rabat: Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines. Série Thèses et mémoires n° 29. 1994.

_____. *Les protégés. Contribution à l'histoire contemporaine du Maroc*. Rabat: Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Rabat. Série Thèses et mémoires n° 29. 1996.

_____. *al-Maḥmiyyūn*. Al-Ribāt: manshūrāt kulliyat al-'ādāb wa al-'ulūm al-'insāniyya, manshūrāt bāb 'anfā, silsilat buḥūth wa dirāsāt, raqm 47, 2011.

Lancelot, Addison. *West Barbary, or, A short narrative of the revolutions of the kingdoms of Fez and Morocco with an account of the present customs, sacred, civil, and domestick*. Oxford, England: Printed at the Theater in Oxford, 1671.

_____. *The present state of the Jews (more particularly relating to those in Barbary) wherein is contained an exact account of their customs, secular and religious: to which is annexed a summary discourse of the Misna, Talmud, and Gemara*. London: Printed by J.C. for William Crooke, at the Green Dragon without Temple-Bar; and to be sold by John Courtney Bookseller in Sarum, 1675.

El Mansour, Mohamed. "Political and Social Developments in Morocco during the Reign of Mawlay Sulayman 1792-1822," Ph.D. Dissertation, SOAS, London, 1981.

_____. *Morocco in the Reign of Mawlay Sulayman 1792-1822*. Wisbech, Cambridgeshire: Menas Press: 1990.

_____. *al-Maghrib qabla al-istīmār, al-mujtama' wa al-ddawla wa al-ddīn, 1792-1822*, tarjamat Muḥammad Ḥubayda. Al-Dār al-Baydā': al-Markaz al-Thaqāfī al-'Arabī, 2006.

Marglin, Jessica. "In the Courts of the Nations: Jews, Muslims, and Legal Pluralism in Nineteenth-Century Morocco," 2013, Ph.D thesis, Princeton University.

- _____. *Across Legal Lines: Jews and Muslims in Modern Morocco*. New Haven and London: Yale University Press, 2016.
- Miège, Jean-Louis. *le Maroc et l'Europe (1830-1894)*, T.1, Sources-Bibliographie. Rabat: Éditions La Porte, 1989.
- Playfair R. Lambert & Brown Robert (Lieutenant Colonel), *A Bibliography of Morocco from the earliest times to the end of 1891*. London: J. Murray, 1892.
- Schroeter, Daniel. *The Sultan's Jew. Morocco and the Sephardi World*. Stanford: Stanford University Press, 2002.
- _____. *Merchants of Essaouira: Urban Society and Imperialism in Southwestern Morocco 1844-1886*. Cambridge: Cambridge University Press, 1988.
- _____. *Tujjār al-Şawira, al-Mujtama' al-Ĥadarī wa l'Impiriyāliyya fī Janūb Gharb al-Maghrib, 1844-1886*. Tarjamat khālīd bin al-Şaghīr. Al-Ribāt: Manshūrāt kulliyat al-'ādāb wa al-'ulūm al-'insāniyya, silsilat nuşuş wa a'māl mutarajama, raqm 6, 1997.
- _____. *Yahūdiy al-Şultān, al-Maghrib wa 'Ālam al-Yahūd al-Sifarad*. Tarjamat khālīd bin al-Şaghīr. Al-Ribāt: Manshūrāt kulliyat al-'ādāb wa al-'ulūm al-'insāniyya, silsilat nuşuş wa a'māl mutarajama, raqm 15, 2011.
- Windus, John. *A journey to Mequinez, the residence of the present emperor of Fez and Morocco, on the occasion of Commodore Stewart's embassy thither from the redemption of the British captives in the year 1721*. London: printed for Jacob Tonson in the strand, 1725.

ملخص:

Al-arshīv al-brīṭānī wa kitābat tārīkh yahūd al-Maghrib

الأرشيف البريطاني وكتابة تاريخ يهود المغرب

حاولنا في هذا المقال إبراز أهمية الأرشيف البريطاني المحفوظ في مجمله بلندن، باعتباره خزاناً غنياً بالمعطيات المفيدة للباحثين المهتمين بدراسة تاريخ المغرب وبلدان شمال إفريقيا في الحقبة ما قبل الاستعمارية، لمعالجة القضايا التاريخية والاجتماعية والسياسية والأثروبولوجية وغيرها ذات الصلة بأحوال البلاد المغربية، وخاصة منها موضوع الأقليات اليهودية. ويبدو أنه على الرغم من هذه الأهمية، فإن عدد المستفيدين من محفوظات الأرشيف البريطاني سواء لدراسة تاريخ المغرب وبلدان شمال إفريقيا بوجه عام، أو موضوع الأقليات اليهودية بوجه خاص لا يزال محدوداً وهو ما أوضحناه وعللنا بعض أسبابه في هذه المساهمة.

الكلمات المفتاحية: الأرشيف، اليهود المغاربة، المغرب، بريطانيا، الوثائق المخزنية، الولايات المتحدة، فرنسا، إسبانيا.

Résumé: les archives britanniques et l'écriture de l'histoire des Juifs du Maroc

Les archives britanniques conservées aux fonds du Public Record Office à Kew, repabtiisé récemment National Archives constitue un réservoir inépuisable d'informations pour l'étude de l'histoire politique et social du Maroc et des pays d'Afrique du Nord à l'époque pré-coloniale. Le contenu de ce fond et d'autres préservés à Londres et ailleurs en Grande Bretagne constituent aussi une source incontournable pour l'étude de l'histoire de la minorité juive au Maroc. Cependant, et en dépit de cette importance, le nombre de chercheurs ayant eu recours à l'utilisation de ces archives pour l'étude des sujets relatifs à la minorité juive au Maroc en particulier reste encore limité.

Mots clés: Archives, juifs marocains, Maroc, Grande-Bretagne, documents makhzeniens, États-Unis, France, Espagne.

Abstract: The British archives and the writing of Moroccan Jews History

The British archives kept in the funds of the Public Record Office in Kew, recently repackaged by National Archives, constitute an inexhaustible reservoir of information for the study of the political and social history of Morocco and the countries of North Africa at the time-colonial. The contents of this and other collections preserved in London and elsewhere in Great Britain are also an inescapable source for the study of the history of the Jewish minority in Morocco. However, and in spite of this importance, the number of researchers who have used the archives for the study of Jewish minority subjects in Morocco in particular remains limited.

Key words: Archives, Moroccan Jews, Morocco, Great-Britain, makhzenian documents, United States, France, Spain.

Resumen: Los archivos británicos y escribir la historia de los Judios de Marruecos

Archivos británicos mantuvieron para financiar la Oficina de Registro Público de Kew, recientemente repablisé Archivo Nacional es un reservorio inagotable de información para el estudio de la historia política y social de Marruecos y el país del norte de África de comprobar la validez época-coloniale. El contenido de esta sustancia y otra conservada en Londres y en otros lugares en Gran Bretaña también son una fuente esencial para el estudio de la historia de la minoría judía en Marruecos. Sin embargo, ya pesar de esta importancia, el número de investigadores que han recurrido al uso de estos archivos para estudiar temas relacionados con la minoría judía en Marruecos, en particular, es aún limitada.

Palabras clave: Archivo, Judios de Marruecos, Marruecos, Gran Bretaña, los documentos de makhzen, Estados Unidos, Francia, España.